على نفسي ومن هذا شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات
كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معانٍ ان اكل احدهم النهار
كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان
صلى الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوتت
حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت
مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء
من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا
اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان
يحضر مع اهله في بيت اخيه ويطأها لان البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الامور الخمس
والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاتحاد وارتفعت
الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه
مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل
تأنس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله اي لا يشتد علينا ولا يتم التخفيف
وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا
راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال ابو معاوية الاسود اخواني كلهم
خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال
صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه
اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان
اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في
نفسك ابدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية
الفضل للاخوان ٭ تذلل لمن ان تذللت له ٭ يرى ذاك للفضل لا للبله ٭ وجانب صداقة من لا يزال
على الاصدقاء يرى الفضل له ٭ وقيل ايضا ٭ كم صديق عرفته بصديق ٭ صار احظى من الصديق العتيق
ورفيق رايته في طريق ٭ صار عندي هو الصديق الحقيق ٭ ومهما راى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم ٭ وقال صلى الله عليه وسلم بحسب
المؤمن من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل
ما يقصده ويقبل اشاراتهم فقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي
عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب بن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف
وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحي ان يشافهك بذلك
وقد ارسلني اليك يسألك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها
الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه
مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا فاذا اخيت احدا

لواجب

لواجب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر
من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد واخى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه
بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاه في الله لرسالتك
ولمسألته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وامره ان يلقاني في مواضع
نلتقي فيها وامره ان لا يخفي علي شيئا من شأنه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر ابن سالم
بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى
ولا يتم ذلك الا بان يكون على نفسك للاخوان ولا يكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك
منزلة الخادم لهم فتتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها
منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم
عليك وكلامهم معك ٭ روي انه عليه الصلوة والسلام كان يعطي كل من جلس اليه
نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه
وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس اليه فكان مجلسه مجلس حياء و
تواضع وامانة ٭ وكان عليه الصلوة والسلام اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه
وتعجبا مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له
عليه الصلوة والسلام واما السمع فان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به
ومظهرا الاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض
فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان
فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم
الا بما يفهمون واما اليدان فان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد ٭ واما الرجلان
فان يمشي وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه
ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد
حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حمل من هذه الحقوق مثل القيام ٭ والاعتذار
والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد
انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب
الظاهرة عنوان اداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن
تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن
كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه
وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول
اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة
خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة من اداب العشرة والجلوس مع اصناف

Copyright King Saud University